القسم الرابع:
الخلاصة وتوصيات لصانع القرار

مما سبق يمكننا الخلوص إلى الآتى:

(١) إن «التسلط» ومجرة المفاهيم المصاحبة له لتمثل جذور التطرف فى الفكر والممارسة، وهذا المفهوم الأخير هو وقود الأرهاب.

(٢) إن «التسلط» يمارس فى أحيان كثيرة ـ إن لم يكن فى أغلب الأحيان «بطريقة غير مشعورة على مستوى اللاوعى، ومن قبل ممثلى التيارات الفاعلة فى ساحة واقعنا الثقافى وهذا ما أوضحته دراسة كم كبير من واقع هذه التفاعلات. وهذا الأمر يساهم بلاشك فى إعاقة العمل الجماعى الخلاقى، اللازم لكافة الأعمال التنموية، والوصول إلى أنسب القرارات المبنية على أساس التفاوض الجماعى المثمر.

(٣) إذا كان لهذا البعد السابق مغزى.. فإننا نقدم هذه الدراسة لاساليب وممارسات ظواهر الحوار التسلطى بهدف المعالجة العلمية بتوزيع وتسليط الضوء على هذه الظواهر؛ خاصة الأساليب الخطبية منها، وتوضيح الجانب التقنى الذى ينبغى الإلمام به والتدرب فى إطاره؛ لوقف هذه الممارسات التى تمثل بالفعل وقوداً للتطرف والإرهاب بأشكاله ومستوياته المتعددة.

(٤) إذا كان هناك قطاع كبير يمارس أدوات وأساليب التسلط بطريقة غير مشعورة أو فعل، وبعد أن انتقلت «عدوى» التسلط لهم، فإن معالجة هذه العدوى «الوبائية» تحتاج إلى أن نلفت النظر إلى قطاع آخر، يمارس التسلط من واقع اجتماعى وإدارى وسياسى وهياكل لاتشجع إلا على هذه الممارسات ـ وهى كثيرة. ولقد تناولت بعضها فى دراسات أخرى، وهناك دراسة تفصيلية أخرى، تتناول الواقع الإدارى فى صدد الانتهاء منها، ولكن الجزء الذى أتممته وأشرت إليه فى هذه الدراسة، هو دراسة بعنوان «مباريات التفاوض الإدارى: الجامعات المصرية كنموذج[٤٥]» والتى أوضح من خلالها أن هيكل مثل «نظام الكنترول» الراهن فى الجامعات المصرية ليمثل أكثر الأمثلة

وضوحاً لتأثير هيكل التواصل على طبيعة الحوار وآلياته... فنظام الكنترول الراهن ليعطينا صورة واضحة عن نموذج الإدارة الأكاديمة التسلطية فى جامعاتنا، والتى من المفترض وأن تقود كافة الأعمال التنموية، وتكون النموذج المحتذية به مشاكل الواقع فى مجالات الإدارة والبحث العلمى، الذى يعالج مشاكل الواقع بإيجابية وفعالية، فهذا الهيكل المولد لأنماط متسلطية عديدة يتسم، وبإيجاز، وبما يلى:

(أ) الإصرار على إهداء الوقت والمال بشكل غير مقبول على الإطلاق «فالكنترولات» تبدو مايقرب من نصف وقت الدراسة... أى إننا ننشغل بتقييم الطالب أكثر مما ننشغل بتكريس الوقت لإعداده لسوق العمل... (هنا نرى إبادة لوقت ثمين لايمكن تعويضه)

أما إقامة الامتحانات بالأسلوب الراهن فهذا إما مبدأ للمال العام. وهناك أساليب أفضل قدمت تفصيلاً لها فى الدراسة المشار إليها

(ب) لم يصب هذا «الكنترول» ـ الذى لابد من إلغائه إذا تحدثنا عن التنمية الحذيثية وتفاعلات القرن القادم التطوير؛ منذ عام ١٩٢٥، أى منذ إنشاء أول جامعاتنا الأهلية.. وأحيط بهالة من التقديس الغريب وتكريس القائم السلبى.

(جـ) تحول كثيرون من الأساتذة بفعل ممارسات هذا الكنترول إلى كتبة وإداريين يمضون كثيراً من الوقت فيما لايخدم الدور المنوط بهم أساساً وهو التدريس والأبحاث والخروج لتنمية المجتمع والانشغال المتلاحق بمشاكله فى ظل إيقاع هذا العصر وتحول مع ذلك مفهوم الكنترول إلى معانٍ تستوجب ترسيخه، بل اعتباره دليلاً على الإدارة والانضباط، وهذا يعين فى حقائق الممارسة.

(د) أوجد هذا الكنترول كثيراً من أنماط التسلط الإدارى حيث انعكست الآبة. ويمكن للإدارى بالجامعة أن يتسلط ويجبر الأساتذة على الانصياع إلى لائمة مالية بشكل حرفى مقيت لايقبل المناقشة؛ إى إن التسلط هنا وفى هذه الحالة من الموظف الأصغر للسلطة الأعلى فى الجامعة.

(هـ) ينبنى نظام الكنترول الراهن ـ مثله مثل نظم وهياكل تسلطية عديدة ـ على التعامل على أساس من عدم الثقة فى الأستاذ الجامعى، وهذا عكس كافة الجامعات، بل على عكس ماكان سائداً فى جامعة الأزهر ـ أعرق جامعات العالم ـ منذ مئات السنين مثلاً...

(د) يتصور البعض أن نظام الكنترول الراهن هو «نظام سياسى» معنى بإلهاء الأساتذة وضبط حركة الطلاب والسيطرة على الجامعات أساتذة وطلاباً، ولكن هذه الحجة لابد وأن تكون ضعيفة لأنه حتى وإن صحت فهناك أساليب أشغال أفضل بكثير تعود على الجامعات والتنمية والبلاد بالفائدة للجميع، مع تحقيق غرف الأشغال، إن صحت هذه الحجة الواهية.(٤٤)

لقد قدمت الدراسة تفصيلات كثيرة، ولكن كان ماتقدم مجرد إشارة لنوعية من الهياكل المولدة لتفاعلات تسلطية عديدة.

(٥) إن ممارسات «الإعلام» ـ فى كثير من الحالات ـ قد أخفقت فى علاج ظاهرة التطرف ـ بل إنها نجحت بالفعل فى تأجيج الصراع بشكل مخيب للآمال.. ولقد أوردت أمثلة عديدة توضح هذه النقطة فى سياق هذه الدراسة. ولعل أحدث هذه الأمثلة هو خلط كثير من الأوراق حين يختزل بعض «المثقفين» وكذلك بعض الأفلام والمسلسلات التى حاولت معالجة ظاهرة التطرف، الاوضاع بأن يكون الدفاع مثلاً عن ممثلة أو راقصة «مبتذلة» بمثابة الوقوف خلفها والدفاع عن فنها الرفيع، فى مواجهة جحافل الظلام و«الظلاميين»، وكأى مجتمع «أبيض» أو «أسود» إما «الرقص والمجون» أو «الهوس الدينى والتطرف»!!

إن صور الإعلام فى كثير من الحالات تأرجحت بين هذا «الأسود القائم» وهذا «الأبيض الناصع» دون انطباق المسميات على واقع الأمور. إن كثيراً من تفاعلات الإعلام انصبت فى مفهوم «التصنيف المتسرع والمتعسف للأحداث والأشخاص..

(٦) أوضحت هذه الدراسة أن «التسلط» والتطرف والإرهاب ومجرة المصطلحات المتعلقة لاتقتصر بالطبع على وصف أوضاع وأحداث فى واقعنا الثقافى فقط، بل إن ساحة التفاعلات الغربية، والتى يدعى كثيرون من الغربيين أنها ساحة الديمقراطية والتواصل الفعال، نموذج هى الأخرى بكثير من حالات التسلط، التى تؤدى إلى التطرف والإرهاب، خاصة فى تفاعلات مايمكن وأن نسميه بتفاعلات الغرب مع العالم العربى والاسلامى. ولقد أوردت فى سياق هذه الدراسة ودراسات أخرى عديداً من الأمثلة، التى توضح ترديف الإعلام الغربى لمصطلحات «عربى» و«مسلم» و«إرهابى»، وكذلك وجود معايير مزدوجة فى الغرب بخصوص مفهوم الإرهاب والتطرف